

الدكتورة ثريا دار *

أصحاب المعلقات ، دراسة و تحليل

١- امرؤ القيس

هو على رأس شعراء الجاهلية فى الذكر والشهرة ، وعلى رأس أصحاب المعلقات السبع. كان امرؤ القيس بن حجر بن عمرو من قبيلة كندة ولهذا يقال له الكندى والكندة هى قبيلة يمنية كانت تنزل فى غربى حضرموت .

وتزدد فى كتب الأدب أسماء مختلفة لامرئ القيس ، فيسمى حندجا وعديا ومليكة ويكنى بأبى وهب وأبى زيد و أبى الحارث ويلقب بذى القروح والملك الضليل وأشهر ألقابه امرؤ القيس والقيس من أصنامهم فى الجاهلية كانوا يعبدونه و ينتسبون إليه .

كان حندج المعروف بلقبه: امرؤ القيس، أصغر أبناء حجر بن الحارث ، الملك على بنى أسد - فنشأ امرؤ القيس فى بيت سؤدد و مجد و نعمة و ذاق أفاويق الجمال والحب وقضى أيام شبابه فى مغازلة الغيد الحسان ، فكانت له معهن أيام و ذكريات قص الكثير منها فى معلقته ، وما برح فى لهوه و مجونه حتى ضاق به والده ذرعا فأبعده عنه - فأقام مع أمثاله من أهل البطالة واللهو ، حتى قتل أبوه فذهبت سكرته ، وطالت حسرته ، وهب للأخذ بثأره ، حتى قضى عليه أخيراً إسرافه فى الانتقام.

وامرؤ القيس أقدم الشعراء الذين وصلت إلينا أخبارهم تامة وهو شاعر وجدانى قدمه النقد على معاصريه من شعراء الجاهلية

* رئيسة القسم العربى ، الجامعة الإسلامية ، بهاولپور.

وعلى الشعراء الذين جاءوا بعده. وللمعلقة مطلعها الساحر القوى ، وأسلوبها الجزل ، وخيالها البدوي الموهوب وتشبيهاتها الحية الساذجة المكرورة أحيانا ، وفيها فوق ذلك و رغم الكثير من ألفاظها البدوية الجافة رقة النسيب ودقة الوصف و تنوع الأغراض و براعة التصوير والبيان ، و فيها جل ما ابتكره امرؤ القيس من المعاني الشعرية التي فضل بها على غيره من الشعراء وعد بها أميرهم وقائدهم ، ففيها بكاء للديار ، واستيقاف للصحب و تجويد في النسيب ، و تصوير لاستهتاره و مجونه و قصص لذكرياته وأيامه ، وإبداع في وصف الليل و طوله ، والفرس و محاسنه ، والبرق والمطر وآثاره .

والنقاد يحتجون لذلك بأنه أول من وقف على الأطلال وبكى على الديار و شبب بالنساء وشبههن بالمها والظباء والخييل بالعقبان و أجاد في وصف الليل والخييل والصيد . ثم هو واسع الخيال لتقلبه في النعيم والخييل لادمان ركوبه وكثرة أسفاره في البادية والحضر وقد قال العلماء بالشعر:

إن امرء القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها لانه قيل هو أول من لطف المعاني واستوقف على الطلول و وصف النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وقرب مأخذ الكلام ، فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه" (١)

وقد أيد أبو عبيدة معمر بن المثنى من فضله . بأنه أول من فتح الشعر واستوقف ، وبكى في الدمن ، ووصف ما فيها ، ثم قال : وهو أول من شبه الخيل بالعصا والقوة والسباع والظباء والطير . فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الاوصاف (٢)

وقد قال أبو عبيدة " هو اول من قيد الأوابد ، يعنى في قوله في وصف الفرس (قيدالأوابد) فتبعه الناس على ذلك (٣)

وقد ثمن الباقلاني شعره بقوله: "وانت لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته ، وتعلم أنه قد أبدع في طرق الشعر - أموراً أتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها الى ما يصل بذلك من البديع الذي أبدعه والتشبيه الذي أحدثه والمليح الذي تجدد في شعره والتصرف الكثير الذي تصادفه في قوله ؛ والوجوه التي ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعفو و متانة ورقة أسباب تحمد و أمور تؤثر وتمدح وقد ترى الأدباء أولاً يوازنون بشعره فلانا وفلانا " (٤)

وتتناول معلقة امرئ القيس كثيراً من فنون الشعر ، وتحوى الكثير من الأفكار المتنوعة ففيها بكاء لديار أحبابه في ثلاثة أبيات وتصوير لحيرته وذهوله يوم رحيلهن واستيقاف لأصحابه ليحملوا معه عب الحزن والألم في بيتين وفيها شرح للهوه وعبشه وقص لذكرياته وأشجانه مع محبوباته ووصف للجمال العربي وزينة المرأة في الجاهلية ولأثر الجمال وسحره في النفوس وذلك في عشرين بيتاً، وفيها مناجاة الليل وذكر لطوله وآلامه فيه في خمسة أبيات ، ووصف دقيق لفرة في ثمانية عشر بيتاً والبرق والمطر ونشوة الطبيعة في عشرة أبيات فأبياتها تبلغ الستين أو تزيد وهي كلها في درجة من الإحسان ليس بعدها من مزيد. ويقول الزوزني في سبب إنشاد هذه القصيدة:

"السبب في إنشادها هو قصة غدير دارة جليجل حيث كان امرؤ القيس يحب ابنة عمه عنيزة ، فتركها تستحم في هذا الغدير مع أتراب لها وجمع ملابسهن ثم لم يعطها إلا بعد مرورهن أمامه عاريات ، ثم ذبح لهن ناقته وقسم متاعه عليهن يحملنه وركب مع عنيزة في هودجها" (٥)

وبدأ امرؤ القيس معلقته ليذكر يوم دارة جليجل فمن ذلك قوله (مطلعها) في قصيدته اللامية :

"قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل" (٦)

هو مطلع جميل ساحر ، يدل على شخصية صاحبها المرحه وروحته
الموهوب ومجونه المأثور . ثم يستمر فى وصف الديار وآثارها حتى
يقول :

وإن شفائى عبرة إن سفحتها

وهل عندرس دارس من معول " (٧)

ثم يصف ذكريات لهوه وعبثه وتنتهى القصة بذكر الشعر
الذى قاله فى هذه المناسبة حيث يقول :

فقلت لها سيرى وأرخى زمامه ولا تبعدينا من جناك المعلل

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تائم مغيل (٨)

ثم يستمر فى غزله ويصف الليل ، وبعد ذلك يصف فرسه ثم
يذكر الصيد الذى صاده وطهى الطهاة له وسط الصحراء فيقول :

فظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أوقدير معجل (٩)

وتمتاز المعلقة بأنها مظهر للبلاغة العربية وبما فيها من أساليب البيان
ومناهج الأداء ، وصور التعبير ، وألوان الرسم والخيال والتفكير ، وفيها
تشبيهات جميلة كثيرة ، واستعارات بالغة حد الجمال وكنائيات أنيقة
ساحرة ، وسوى ذلك من أدوات التعبير والبيان.

وأن امرء القيس هو أشهر شعراء الجاهلية و أشرفهم أصلاً و
أرفعهم منزلة ، ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس ابن
عبدالمطلب ، حين سأله عن الشعراء: "امرؤ القيس سابقهم حسف لهم
عين الشعر ، فافتقرعن معان عور أصحّ بصر" (١٠).

وقيل لكثير - أو لنصيب - " من أشعر العرب ؟ فقال: امرؤ
القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا
شرب (١١).

ونجد للبالقاني صاحب كتاب " إعجاز القرآن " آراء في بعض أشعار امرئ القيس حيث ينتقد بعض الأبيات ويبين ما فيها من عيوب كما نجد في كتب النقد آراء في شعره وهى بين مستحسن و مستهجن لبعض الأبيات أو القصائد كما قال بروكلمن: " ومن الخصائص العروضية فى شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض فى الطويل ، وكثرة الاقواء فى القافية و كثرة التصريع فى غير أول قصيدة (١٢) .

وقصة موته مشهور ويقال ان ابنة القيصر نظرت إليه فعشقتة ، فكان يأتيها وتأتيه وتأمّر الطماح بن قيس الأسدى لهما ، وكان حجر قتل أباه فوشى به الى الملك ، فخرج امرؤ القيس متسرعاً فبعث إليه قيصر بحلة مسمومة ، فتناثر لحمه و تفطر جسده و لهذا يقال له ذوالقروح لأنّ الحلة المسمومة قرحته - فمات ودفن بأنقره .

زهير بن أبى سلمى:

هو زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى ، فأبوه من قبيلة مزينة احدى قبائل مضر - كان يقيم هو و أبوه و ولده فى منازل بنى عبد الله بن غطفان بالحاجز من نجد و أول من نزل هناك منهم أبوه أبو سلمى لانه تزوج امرأة من بنى فهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له زهيرا و تزوج امرأة من سحيم بن مرة ولذلك كان زهير يذكر فى شعره بنى مرة و غطفان بمدحها .

كان زهير أحد ثلاثة الفحول المقدمين على سائر شعراء الجاهلية - فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس و زهير والنابعة وإنما اختلفوا فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعانى - فقد امتاز زهير بما فى نظمه من الحكمة البالغة و كثرة الامثال مع القدرة على المدح ، والنقاد مجمعون على نقل رأى عمر بن الخطاب فى زهير "

كان لا يعاظر بين الكلام (لا يدخل بعض الكلام فى بعض) وكان يتجنب وحشى الكلام ولم يمدح أحداً إلا بما فيه (١٣).

وكثيرون يفضلونه على صاحبيه كما قال ابن رشيقي : قال أهل النظر "كان زهير أحكمهم شعراً وأبعدهم من سخف و أجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من الالفاظ وأشدهم مبالغة فى المدح" (١٤).

ويقال إنه لم يتصل الشعر فى ولد أحد من الفحول فى الجاهلية ما اتصل فى ولد زهير - قال صاحب " الوسيط " كان زهير بن أبى سلمى ثالث فحول الطبقة الاولى من الجاهلية ، وأعفهم قولاً ، وأجزهم لفظاً و أغزهم حكمة وأكثرهم تهذيباً لشعره (١٥).

وكان لشعره تأثيراً كبيراً فى نفوس العرب وكان مقرباً من أمراء ذبيان و خصوصاً هرم بن سنان والحارث بن عوف وأول قصيدة نظمها فى مدحهما معلقته المشهورة التى مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج قالمثلهم (١٦).

بدأ زهير معلقته بذكر الديار وزيارته لها و وقوفه فيها بعد عشرين عاماً طوالاً يتذكر ذكريات حبه و وفائه ثم أخذ يصف النساء اللاتى ارتحلن عنها فيتبعهن ببصره كئيباً حزيناً و يصف الطريق التى سلكنها والحوادج التى كن فيها والمياه التى نزلنها فى ذوبة و سهولة وجمال إلى أن يقول:

تذكرنى الأحلام ليلى ومن تطف عليه خيالات الأحبة يحلم (١٧) ثم ينتقل إلى مدح هرم والحارث والإشادة بجهودهما الكريمة فى إنفاذ السلام وإطفاء الحرب بين عبس و ذبيان و يختم القصيدة بتأكيد معروف السديين الممدوحين عليه فيقول:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن يكثر التسأل يوماً سيحرم (١٨) وإن معلقة زهير من آثار البلاغة العربية القديمة ، تقع فى تسعة و خمسين بيتاً . وقد روى أن سيدنا عمر بن الخطاب قال لبعض ولد هرم "

أنشد نى بعض ما قال فيكم زهير فأنشده فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن فقال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ، فقال عمر رض ذهب ما اعطيتموه وبقى ما اعطاكم (١٩).

وكانت لزهير بنت كانت شاعرة فدخلت على عائشة رضى الله عنه ، وعندها بنت هرم بن سنان ، فسألت بنت هرم : من أنت ؟ قالت أنا بنت زهير ، قالت : أو ما أعطى أبى أباك ما أغناكم ؟ قالت : ان أباك أعطى أبى ما فنى ، وإن أبى أعطى أباك ما بقى ، وأنشدت بنت زهير .

وأنتك إن أعطيتنى ثمن الغنى
حمدت الذى أعطيت من ثمن الشكر

وان يفن ما تعطيه فى اليوم أو الغد

فان الذى أعطيك يبقى على الدهر (٢٠)

وكان شاعرا فحلا ، كما كان صائب الراى عاقلا حازما حكيمًا وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع متديناً مؤمناً بالبعث والحساب كما يظهر من قوله :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر

ليوم الحساب أو ليعجل فينقم (٢١)

وكان زهير استاذ الخطيئة و سئل عنه الخطيئة فقال " مارأيت مثله فى تكفيه على أكتاف القوافى و أخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً و ذماً - قيل له : ثم من : قال : ما أدرى إلا أن ترانى منبطحاً واضعاً إحدى رجلى على الأخرى رافعاً عقيرتى أعوى فى أثر القوافى (٢٢).

وكان زهير عمر طويلاً إذ يقال فى بعض الروايات أنه ادرك الإسلام وله مائة سنة ولم يسلم ولكن إدراكه الإسلام غير صحيح ، إنما الصحيح أنه مات قبل الإسلام بأحدى عشرة سنة.

النابعة الذيبانى:-

هو زياد بن معاوية بن ضباب الذيبانى ، أبو أمامة وقيل أبو ثمامة وأبو عقرب أحد شعراء الجاهلية المشهورين ومن أعيان فحولهم -
عده بعض العلماء من الطبقة الاولى بعد امرئ القيس وقيل زهير
والأعشى ولقب بالنابعة لنبوغه فى الشعر فجأة وهو كبير ، بعد أن
امتنع عليه وهو صغير وقد ذكر أهل الرواية أنه إنما لقب بالنابعة بقوله:
فقد نبغت لنا منهم شوؤن.

وكان النابعة شاعر بلاط ، يتردد إلى قصور الملوك فى العراق و
الشام ومدحهم وأخذ جوائزهم وقد أخذ عليه علماء الشعر لتكسبه
بشعره ، واتصل بملوك الحيرة ومدحهم وطالت صحبته للنعمان بن
منذر فأدناه منه و اتخذ جليساً و نديماً - ثم اتفق أن النعمان غضب
عليه وهم بقتله - وقيل ان النابعة نظم قصيدته الشهيرة فى زوجة ابي
قأبوس يوماً و ذكر فى وصفه لها مالا يليق ذكره كما قال يصفها:
فى اثر غانية رمتك بسهمها فاصاب قلبك غير أن لم تقصد (٢٣)
ونظم النابعة معلقته بعد أن فارق النعمان بن المنذر إلى بلاط
الغساسنة و هذه القصيدة هى أشهر اعتذاريات النابعة و يمدح النعمان
و يعتذر اليه عما رماه به المنخل اليشكرى و انباه قريع و يبرئ نفسه
من وشايتهم وهى التى تغلبت على سخط النعمان وقد عدت من
المعلقات و مطلعها:

يا دارمية بالعلياء فالسند أقوت، وطال عليها سالف الأبد (٢٤)
اشتهر النابعة بالمديح والاعتذار وكذلك أذل نفسه فى اعتذاره
للنعمان ومن اعتذارياته:

فانك كالليل الذى هو مدركى
وإن خلت أن المتئى عنك واسع (٢٥)

وخلق النابغة في الشعر العربي فنا جديدا فقال في قصيدة أخرى يمدح بها النعمان

فانك شمس والملوك كواكب إذ طلعت لم يبد منهم كوكب (٢٦)
والنابغة مثل غيره من أهل زمانه ، كان يعتقد بالجن ، فأشار في شعره الى جنة البقار وهو ممن ذكر بعض القصص والأساطير في شعره . فقد ذكر النعمان بن المنذر بقصة زرقاء اليمامة ، وهي قصة يظهر أنها كانت شهيرة وشائعة بين الجاهليين ، ضربها مثلاً له ، وذكر قصة الحية وهي اسطورة في ذم الغدر والخيانة (٢٧) .
عمرو بن كلثوم :-

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي شاعر قديم من كبار شعراء الجاهلية - امه ليلى بنت المهلهل بن ربيعة وعمها كليب أعز العرب ، ووالده كلثوم بن عتاب ، فارس العرب ، نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة التراتبية بين ذوى الحسب اللباب من تغلب شجاعا هماما خطيباً جامعاً لخصال الشرف : وكان عمرو سيد في قومه وقائد قبيلته من بنى تغلب ساد عمرو بن كلثوم قومه وهو ابن خمس عشرة ومات في أواخر القرن السادس للميلاد -
وكان خطيباً حكيماً شاعراً وقاد الجيوش مظفراً في كثير من الحروب وافتخر بنفسه وقومه وانشأ معلقته الرائعة المشهورة التي أولها:

"ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا" (٢٨)
وقد قيل لو وضعت أشعار العرب في كفة و قصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها كما قال مطرف عن عيسى بن عمر "لله در ابن كلثوم ! أى جلس شعر ، و وعاء علم ! لو أنه رغب فيما رغب فيه أصحابه ، لكان أجود سبعهم قصيدة" (٢٩) .

ولمعلقته قيمة تاريخية ، فهي تدلنا على حالة العرب من حيث الدين والاجتماع والعادات والصناعات والألعاب . فتخبرنا عن طواف

النساء حول الصنم و عن الرقص الدينى ، ومرافقة النساء للرجال فى القتال ، و عن لعب الصبيان بسيوف الخشب و قذف الكرة وغير ذلك من الفوائد التاريخية.

و يذكر بعض الرواة أن عمرو بن كلثوم ارتحل قصيدته الشهيرة ارجحاً ، وأنها كانت تبلغ ألف بيت أو تزيد وأن ما وصل إلينا منها هو ١٠١ فى كتاب شرح القصائد العشر للبريزى و ١٠٣ فى شرح المعلقات للزوزنى و ١١٥ فى جمهرة أشعار العرب لابی زيد قرشى و يظهر من دراستها أنها لم تنظم دفعة واحدة ، وانها لم تكن بهذا الطول يوم ألقاها الشاعر ، بل زيدت فيما بعد حسب المناسبات لأن فيها أبياتاً تمس أموراً وقعت فيما بعد ، فى ظروف متأخرة. وكان عمرو بن كلثوم خطيباً حكيماً شاعراً ، أوصى بنيه عند موته بوصية بليغة حسنة ، ضبط نصها الرواة فيما بعد وكلهم كتبوها بخط يدهم وهذه الوصية موجودة أيضاً فى الأغاني. (٣٠)

عنتره بن شداد:-

هو أبو المغلس عنتره بن عمرو بن شداد العبسى أحد فرسان العرب وأبطالهم و شعرائهم و كان عبداً أسود. و يختلف الرواة والمؤرخون و يقولون: كان شداد عمه . وقد روى له فى ديوانه ، بيت شعر يذكر فيه أباه شداداً وهو:

منهم أبى شداد أكرم والد والأُم من حام ، هم أخوالى (٣١)
وعنتره عربى من جهة الأب ، فهو من بنى عبس و أمّا أمه فكانت أمة حبشية الاصل ، و اسمها زبيبة ، سبها أبوه فى الغارات ، فاستولدها عنتره ، فأتى حبشى اللون ، مشقوق الشفة السفلى ، فكان يقال له " عنتره الفلحاء " كما قال شريح بن بجير التغلبى:

وعنتره الفلحاء جاء مُلاماً كانك ضد السائر فى الظلام (٣٢)
وكان يكنى عنتره " بأبى المغلس " و معناه: السائر فى الظلام، إشارة إلى سواد لونه وعُدَّ أيضاً من أغربة العرب.

نشأ عنزة عبداً يرعى الابل لأبيه وهو لا يكاد يؤبه له ولكنه نزع بنفسه عن حال العبودية وأخذ يروض نفسه على الطراد والفروسية وقائد كتيبة . وكان عنزة محتقرا في عين والده و أعمامه ولكنه نشأ شديداً بطاشاً شجاعاً ، كريم النفس كثير الوفاء و أحب عنزة منذ صغره عبلة ابنة عمه مالك ، ثم طمع أن يبنى بها ولكن عمه كان كثير التعنت فلم يرض أن يزوج ابنته بعبد أسود.

وكانت لعنزة أيام مشهورات في حرب داحس والغبراء . وقاد عنزة كتائب عبس في حرب داحس و الغبراء — فأحسن القيادة وأصبح فارس دأحس والغبراء كما كان فارس عبس وأحد أغربة العرب المشهورين و حارب ايضاً الفرس في يوم ذى وقار (عام البعثة ٦١٠م) (٣٣) .

" قال له رجل " أنا اشعر منك . قال " ستعلم ذلك " فغاب حيناً ، وجاش الشعر في صدره و جرى على لسانه و عاد إليه " (٣٤) . فأنشده معلقته وهي إحدى المعلقات السبع ومن روائع الشعر العربي القديم ومطلعها :

"هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم" (٣٥)
وأشتهر عنزة بفنين من فنون الشعر وهما الغزل والحماسة ونظم عنزة معلقته في أعقاب حرب داحس والغبراء ليعاتب عبلة و يفتخر أمامها بشجاعته و كرمه و ليعاتب أباه و عمه الذين ضنَّا بعبلة زوجها له وقد قال عنزة يخاطب عبلة.

أثنى على بما علمت فأننى سمح مخالقتى إذا لم اظلم (٣٦)

و إن عنزة رقيق في غزله والإشادة ببطولته ، بل هو رقيق في حديثه عن أعدائه ، أليس هو الذى يقول .
"فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم" (٣٧)

بل هو رفيق على فرسه ، يلم لألمه ، ويشقى لشقائه ؛ ويرى بكاءه ويسمع توجعه حين تعبت به رماح الإعداء :
 فازور من وقع القنابل بانه وشكا إلى بعبرة وتحمم (٣٨)
 فعنزة في معلقته شاعر يتحدث عن البطولة في البادية وعن المجتمع الذي كان يعيش فيه وعن الحياة التي كان يتأثر بها وعن عواطف الشاعر وعن دخائل نفسه حديث المصور الماهر والشاعر العبقري ويعد كل ما في المعلقة جيد ، وكل أبياتها خليق أن نطيل الوقوف عنده والتفكير فيه والإعجاب به لان قد بدأها عنزة بالغزل في ابنة عمه عبلة ومخاطبة دارها ذات الذكريات - وبعد ذلك استطرده إلى وصف الروضة ، ثم وصف ناقته في أبيات كأبيات طرفة تمتاز بالغراقة ثم نراه يفتخر بنفسه وشجاعته ويستمر في التنويه بشجاعته. ثم يختمها بتهديد ابني ضمضم و كانا قد نذرا دمه و تربصا له لأنه قتل أباهما في الحرب.

طرفة بن العبد:

هو عمرو بن العبد البكري ، شاعر جاهلي مشهور ، نشأ يتيما في كفالة أعمامه . مات أبوه وهو صغير .
 وكان قومه ينزلون البحرين فولد هناك وهناك قتل شاباً لم يسلخ السادس العشرين من عمره و "طرفة" لقب غلب عليه ، قد قيل إنه من الطرفاء وهو شجر الاثل ، وقيل لقب به لبنت قاله وهو .
 لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفا

ولا اميريكما بالدار اذوقفا (٣٩)

قال طرفة الشعر وهو صبي . فنبغ فيه حتى عدّ من فحول الشعراء الجاهليين ولم ينيف على العشرين واستحق من أجلها أن يضعه أبو عبيدة في الطبقة الثانية و ابن سلام في الطبقة الرابعة وأن يذهب بعض الشعراء والنقاد إلى أنه أشعر الجاهليين.

و كان طرفه منذ الحداثة متوقد الذهن ، مضطرم الشعور ، حاد البادرة و لكنه كعمرو بن كلثوم لم يشتهر إلا بمعلقته و هى أطول المعلقات السبع. و أبياتها خمسة و مائة بيت . لم يسبقه إليه أحد و تعدّ معلقته من أجود المعلقات و تمتاز بكثرة معانيها و جزالة أسلوبها . نظمها طرفه بعد عودته إلى أرض قومه إثر تنقله فى الأحياء حين كان مغاضبا لقومه و عشيرته و يقال فى سبب نظمها أن أخاه معيد كانت له ابل ضلت فذهب اخوه طرفه إلى ابن عمه مالك ليعينه فى طلبها . فلامه و انتهره وقال " فرطت فيها ثم أقبلت تتعب فى طلبها " فهاجرت قريحة طرفه ، فقال معلقته الرائعة التى مطلعها .

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد (٤٠)
ثم يذكر قباب خولة و هى ظاعنة و يشبها بالسفينة تشبيها جميلا وقويا و فى هذا الوصف هو يرسم صورة جميلة للسفن الكبيرة التى كان يراها و يشاهدها تسير فى الماء على شواطى البحرين و سواهما . ثم يصف جمال محبوبته و ينعتها نعتا جميلا قويا مؤثرا عذبا يدل على امتلاء نفسه بالحب و على خضوعه لأسر الجمال .

ثم يأخذ الشاعر فى وصف ناقته التى يسير عليها يسلي عن نفسه الهموم والأحزان. و وصفه لها طويل فى خمسة و ثلاثين بيتا. ثم يفتخر الشاعر بنفسه و يفرغ لها و يصف كرمه ولذاته و مجده و هو يشرب الراح فى وضوح و سهولة و يقول:

إذ القوم قالوا : من فتى؟ خلت أننى

عنيت ، فلم أكسل و لم أتبلد (٤١)

ثم يعلن فى صراحة أثر لهو و شربه الخمر فى حياته و بين قبيلته ، ويتحدث عن لذاته فى الحياة و يصفها ويقول أن غايته من الدنيا إنما هى الخمر و الحب و النجدة ، ولولا هذه اللذات الثلاث ما رغب الحياة ولا رهب الموت و يلوم من يعذله فى اللهو والإسراف و يفند

رأيهم و يقول . إن الكريم المسرف والبخيل المقتر مألهما واحد الى
القبر ويعتد بلذاته اعتداداً كبيراً

ثم يمضى الشاعر بعد ذلك زارياً على ابن عمه شاكياً
من ظلم قومه ، مفتخراً بحسن بلائه و قوة عزمه .
ويقول معرضاً بابن عمه :

فمالى أرانى و ابن عمى مالكا
متى ادن منه ينأ عنى و يبعد
يلوم وما ادرى علام يلومنى
كما لا منى فى الحى قرط بن معبد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على امرء من وقع الحسام المهند (٤٢)
ثم ينقل إلى الحكمة ، فيأتى منها بحكم رائعة وأمثال بليغة
رويت على مر الزمان و تمتاز المعلقة بوفرة معانيها وتنوع أغراضها
وجمعها بين السهولة والغرابة فى اللفظ و بين الرقة والمتانة فى
الأسلوب و بين الحكمة واللهو والجد والهزل فى النهج والحياة.

ليبد بن ربيعة العامرى

هو أبو عقيل ليبد بن ربيعة العامرى من هوازن قيس ، وكان
أحد أشرف الشعراء المجيدين ، والقواد الفرسان المعمرين ، والأجواد
العريقين ، والحكماء المحنكين .

و هو من أصحاب المعلقات باجماع الرواة . وكان ليبد فى الجاهلية
خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم و يعد ايامهم و وقائعهم و فرسانهم
و شعره فخم شريف المعانى و يدور أكثره على الحماسة والفخر
و المديح والرثاء والوصف وله معلقة بروية الخصائص وشعره قصيد و
رجز. (٤٣)

و أمه عبسية ، ونشأ لبید فی نعمة من العیش فقد کان أبوه من الاغنياء الکرماء حتى اکتسب لقب " ربيعة المقرین " وکان جوادا شجاعا فاتکا . أما الجود فورثه عن أبيه . إذ کان عمه ملاعب الأرنة و أحد فرسان مضر فی الجاهلية فاخذ لبید الجرأة من عمه .

وکان نظم لبید فی الجاهلية فخم العبارة ، منضد اللفظ ، قليل الحشو ، مزدانا بالحكمة العالية والكلم الرائعات ، وهو أحسن الجاهليين تصرفا فی الرثاء ، وأكثرهم قدرة على تصوير عواطف المفجوع الحزين ، بلفظ رائق وأسلوب مؤثر ولهذا يحتل لبید منزلة رفيعة فی نظر قدماء الادباء وقدمه بعض النقاد " لانه أفضل الشعراء فی الجاهلية والإسلام وأقلهم لغوا فی شعره " (٤٤)

وأدرك الإسلام وأسلم - وقد انقسم الرواة والنقاد فی شأن لبید، منهم من يزعم أن لبیدا لم يقل بعد الإسلام إلا بيتا واحداً ومنهم من يقول إن شعر لبید فی الإسلام کان كثيراً و أجمعت المصادر على أن لبیدا لم يقل فی الإسلام إلا:

الحمد لله إذ لم یأتنی أجلی حتى البست من الإسلام سربالا (٤٥)
وهذا قليل من كثير من احكام القدماء على لبید وفی ديوانه قصائد قالها قبیل وفاته وكذلك فی ديوانه مقطعات عديدة فی الدينيات والاخلاق و من المرجح انه لم ينظمها قبل أن يعرف القرآن - و إن معلقة لبید تمتاز بقوة اللفظ ومتانة الأسلوب ، وبما فیها من تصوير للبادية والحياة والأخلاق و كذلك تصف هوى النفوس الماجنة ومطمح القلوب الكبيرة - وقد بدأها لبید بوصف المقفرة والأطلال البالية وذكرى الحبيبة وخلوها من أصحابها وتعرضها للرياح والأمطار تعبت بها وتمحو معالمها ، وقد قال فی مطلعها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها
فوقفت أسأها وكيف سؤلنا صما خوالد ما یبین كلامها (٤٦)

ثم يصف رحيل أحبابه عنها وأخيراً لا يرى أن يتسلى ويتعزى حتى يصل إلى رجائه وأمله ولكن أن يقطع أمله منها ويترك رجاءه فيها ويقطع صلته بها ما دامت نوار قد تغير وصلها -

" فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشر واصل خلقه صرامها" (٤٧)

ثم يأخذ في وصف ناقته في لفظ غريب وتعبير بدوى متين ويطيل في هذا الوصف ، ويشبهها بالأتان الوحشية وبالظبية الروؤم المفجوعة - ثم يتحدث عن نفسه وعزتها ، ولذات الراح التي شارك فيها ، وشجاعته وبطولته في مواقف النزال والنضال وكرمه وسخائه ونواله للجار الفقير والضعيف النازل والجار الغريب وللبنائسين والمساكين ثم مضى يصف حياته وملذاته وجوده وبأسه حتى انتهى إلى الفخر بقومه ومآثرهم وشرفهم ومجدهم وكرمهم وأمانتهم وكل ذلك في صدق وإخلاص وقصد -

كان ليبد مثلاً في الجود ، وافر اللب ، نبيل النفس ، جم المروءة ، وسيع القلب - فسالت أخلاقه وغواطفه في شعره وتمثلت معاني النبل والكرم في فخره -

وجاء نظمه فخم العبارة ، وجزالة اللفظ ودقة معانية وشرف مقاصده وقلة اللغو في قوله ، وقليل الحشو ، ومزداناً بالحكمة العالية الصادقة والموعظة الحسنة والكلم النوابيع وكثرة اشتماله على عقائد الايمان وهو ممن يجيد الرثا من الجاهليين ويأتى فيه بأبدع الحكم والأمثال التي تذهب الاحزان وتسلى الهموم ، وتهون على النفس ألم المصيبة بلفظ رائق وأسلوب مؤثر -

وبعد اسلامه انتقل ليبد إلى الكوفة وأقام فيها إلى أن توفى في عام ٤١ هـ .



الحواشي والمراجع

- ١- العمدة لابن رشيق: ٩٤/١- الطبعة الثالثة - صفر ١٣٨٣ هـ.
- ٢- كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة - ٦٣/١.
- ٣- نفس المصدر، ٦٧/١.
- ٤- إعجاز القرآن للباقلاني: ص ١٥٨ - تحقيق السيد احمد صقر- دارالمعارف بمصر .
- ٥- شرح السبع المعلقة للزوزني "ص : ٦٠٥ ، دار نشر الكتب الإسلامية - لاهور.
- ٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٥٠/١.
- ٧- ديوان امرؤ القيس: ص : ٩ (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) الطبعة الخامسة - دارالمعارف مصر -
- ٨- نفس المصدر : ١٢٠/١١.
- ٩- نفس المصدر : ٢٢.
- ١٠- الشعر والشعراء : ٦٣/١.
- ١١- العمدة لابن رشيق : ٩٥/١.
- ١٢- تاريخ الادب العربي لبروكلمان ٩٩/١.
- ١٣- الشعر والشعراء : ٦٩/١ و المزهرة للسيوطي : ٤٨٢/٢ .
- دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (بدون تاريخ)
- ١٤- العمدة لابن رشيق: ٨٥/١
- ١٥- الوسيط في الادب العربي وتاريخه للشيخ أحمد الاسكندري :
والشيخ مصطفى عناني: ص ٦٩ الطبعة السادسة عشرة - دار
المعارف بمصر - ١٩١٦ م -
- ١٦- شرح المعلقة السبع للزوزني - ص ٧٣

- ١٧- شرح شعر زهير بن ابى سلمى لابی العباس ثعلب: ص ١٦٠ (تحقيق الدكتور فخر الدين قباده) منشورات دار الآفاق الجديد بيروت - لبنان - الطبعة الاولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ١٨- جمهرة اشعار العرب لابی زيد القرشى . ص: ١٨٧ - الطبعة الاولى ، دارنهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة -
- ١٩- الشعر والشعراء : ٧٣/١
- ٢٠- شرح شواهد المغنى: ٧٥٥/٢
- ٢١- شرح المعلقات السبع للزوزنى- ص: ٨١
- ٢٢- الشعر والشعراء ص ٧٣/١
- ٢٣- اشعار الشعراء الستة الجاهليين لشنتمرى ١/٢٢٨، ٢٢٩، منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت (الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م)
- ٢٤- ديوان النابغة الذبياني: ص: ٣٠- تحقيق و شرح لكرم البستاني دار صادر بيروت. ١٣٧٩ - ١٩٦٠ م.
- ٢٥- نفس المصدر: ص: ٨١
- ٢٦- نفس المصدر : ص: ١٨
- ٢٧- الشعر والشعراء : ٨٦/١
- ٢٨- شرح السبع المعلقات للزوزنى: ص: ١١٨
- ٢٩- جمهرة اشعار العرب: ص: ٩١
- ٣٠- الآغاني للأصفهاني: ٥٤، ٥٣/١١
- ٣١- شرح ديوان عنتر بن شداد لأديب المصرى: ص: ١٩٤
- ٣٢- الفضليات لمفضل الضبى: ص: ٢٨٧ - طبعة جميز لائل بريس: ١٩٢١ م.
- ٣٣- تاريخ الادب العربى للدكتور عمر فروخ : ٢٠٨/١ ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٣٤- تاريخ الادب العربى لاحمد حسن زيات: ص: ٥٩

- ٣٥- ديوان عنزة لكرم البستاني: ص: ١٥- دار صادر بيروت
١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ٣٦- نفس المصدر، ص: ٢٣
- ٣٧- نفس المصدر، ص: ٢٦
- ٣٨- نفس المصدر، ص: ٣٥
- ٣٩- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد
على: ٥٣٦/٩- دار العلم للملايين . بيروت. مكتبة النهضة ،
بغداد ، الطبعة الثالثة - ١٩٨٠م.
- ٤٠- ديوان طرفة : ص : ١٩
- ٤١- نفس المصدر، ص: ٢٩
- ٤٢- نفس المصدر: ص: ٣٥، ٣٤
- ٤٣- البيان والتبيين للمحافظ ، ١٤٦/٤ - إحياء التراث العربى ،
بيروت لبنان.
- ٤٤- جبهة اشعار العرب: ص: ١١٤
- ٤٥- الشعر والشعراء: ١/ ١٩٠
- ٤٦- جبهة اشعار العرب: ص: ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٤.
- ٤٧- شرح المعلقات للروزنى : ص: ٩٨-

